المتكلمون في المهد

بين أقوال المفسرين والمحدثين

إعداد

دكتور/ حسان علي عبد

جامعة الأنبار - كلية الآداب

hasan.ali@uoanbar.edu.iq

issn : 2071- 6028

ملخص البحث:

هذا البحث يُجِيبُ عن التساؤلات التي ما دامت تُثار بين الفينة والأُخرى حول الأطفال الذين تكلموا في مهدهم ، وهل أنَّ كلامهم كان معجزة أو كرامة لهم ولآبائهم؟ وحول إمكان أنْ يتكلم طفلٌ في مهده غير الذين تكلموا، ولو حصل ذلك هل سيكون كلامه ملزماً لنا أو لا؟ وهذا مما سأتعرض له في ثنايا بحثي بمزيد من الإيضاح والتفصيل بإذن الله جلَّ وعلا.

والبحث من الأمور التي لا يملك الإنسانُ أن يتكلم فيها إلاَّ بمستندٍ من القرآن والسُّنة لذا ألتزمت بهذين الأصلين العظيمين المنُجيين من الزيغ، والشطط، والهلاك.

كما أنَّ البحث سيقطع الطريق على كل مُتَسْارعٍ وخائضٍ فيه جزافاً من غيرِ بَيَّنةٍ، وبرهانٍ، ودليل.

الكلمات المفتاحية : متكلم ، مهد ، أقوال

Abstract

This research answers questions raised from time to time about children spoke in their cradle and whether their speech was a miracle or a preternatural deed for themes loves and their fathers and the possibility that another child might be able to speak in his cradle other those who already spoke . If that happens , will it be binding for us or not ? This will be discussed in details in this research with the help of Allah.

I,d like to note that this research is a kind of thing that Man has no right to speak about without a proof from the Holy Quran and the Sunni So I committed to these two great sources that are purified from any fault or pervertion . The research will not allow for any doubt without a clear evidence.

Keyword : Speaker , cradle , sayings

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـة:

الحمد لله الذي أيَّدَ أنبياءه بالمعجزات، وأولياءه بالكرامات، والصلاة والسلام على صاحب المعجزات نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، أمَّا بعد:

فإنَّ الله ﷻ يجري أموراً على أيدي أنبيائه وأوليائه خارقة للعادة ولنواميس الطبيعة، ككلامِ الأطفالِ في مهدهم، ويكونُ ذلكَ إمَّا إرهاصاً لنبيٍ من أنبيائه كعيسىعليه السلام، أو كرامةً لوليٍ كصاحبِ جرُيجٍ ؛ لذلك أسميتُ بحثي هذا: (المُتَكَلِّمُونَ في المَهْدِّ بَيْنَ أقوالِ المُفَسِّرِينَ والمُحَدِّثِين).

وهذه الدِّراسة من أهمِّ الدلائل الدالة على عجائب وعِظَمِ قدرة الخالق ، إذ جعل سبحانه ثُلةً من الأطفال ينطقونَ في مهدهم ، وغاياتُ نُطقهم كثيرةٌ سنتعرف عليها في مواضعها، لعلَّ أهمها: أن يتوصلَّ الإنسان بها إلى الإيمانِ بربه جلَّ وعلا، ومن ثَمَّ: يتضاعف الإيمان عنده ويزداد.

ولم يكنْ نُطُقُ الذين تكلموا في مهدهم، مسألةً بديهيةً لا تستدعي التفكر والتأمل، بل هي من المسائل العجيبة التي تحتاج الى مزيدٍ من البحث والنقاش، وَأَدَلُّ دليلٍ على ذلك: أنَّ مريم عليها السلام حينما أشارت الى عيسىعليه السلام أن يُجيبَ قومها وهو لا يزال في مهده، غضبوا وتعجبوا ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾[1] فلمَّا أسكتَ اللهُ لسانها

[1] سورة مريم: ٢٩ – ٣٠.

الناطق، أنطقَ لها اللسان الساكت ، حتى أعترفَ بالعبوديةِ وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم.

فمن أجل ما تقدم : رأيتُ أنْ أَقِفَ عند نصوص القرآن والسنة في هذه المسألة ذاكراً أقوال المفسرين والمحدثين، فوجدت أنَّ طائفةً مِن الذين تكلموا في مهدهم قد ثَبَتَ كلامهم في القُرآن الكريم وحده دون السُّنة ، ومنهم ثَبَتَ كلامُهُ في السُّنة خاصة ، ومنهم مَنْ ثَبَتَ كلامُهُ في القُرآن والسُّنة معاً ، ومنهم من لم يثبت كلامه عند أهل التحقيق من أهل العلم ، فحصل فيه خلاف عندهم.

دوافع اختيار البحث:

من دوافع اختياري للموضوع ما يأتي:

١. قطع الوسائل وسدِّ الذرائع على الخائضين فيه جزافاً بلا بينة أو دليل ؛ وذلك بإشباع الموضوع بالأدلة الكافية من أقوال المفسرين والمحدثين.
٢. البحث جاء ليجيب عن كلِّ الأسئلةِ التي تُثار حول الذين صحت الأخبار عنهم أنهم تكلموا في مهدهم بالأدلة من القرآن والسنة ، وقد خصصتُ مبحثاً لبيان موقف الشرع الإسلامي فيما لو تكلم طفلٌ في مهده ، غير الذين ثُبُتَ عنهم أنهم تكلموا في مهدهم.
٣. قد وجدت لدى علمائنا آراء متباينة عن عدد الذين تكلموا في مهدهم، فأردت الوقوف على الرأي الأصوب الذي تؤيده الأدلة.
٤. رأيتُ من علمائنا من حَصَرَ عدد المتكلمين في ثلاثة مستنداً في هذا إلى حديث: ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ)) فأحببت أن أدفع توهم الحصر عمن ظن أنَّ الحديث يُفيد بظاهره الحصر ، فبينت أنَّ هذا الحصر غير مراد فيه، وبالله التوفيق.

أهمية البحث:

تَبْرُزُ أهميةُ البحثِ من خلال الآتي:

١. كونه يرتبطُ ارتباطاً وثيقاً بالإيمان ، فالإنسان المنُصف حينما يقرأ فيه سيزداد الإيمان عنده ويتقوى ، وتترسخ فيه قيم الفضيلة.

٢. وهو من المواضيع المتعلقة بالمعجزات والكرامات وهما من المسائل المهمة التي تستحق أن يُبْحَثَ عنها؛ لأنهما من خوارق العادات.

٣. كما أنَّه يكشف النقاب عن الذين تكلموا في مهدهم، ويقطع القول في عددهم، ويعرفنا إن كان بالإمكان أن يتكلم طفل الآن وفي المستقبل في مهده ، ويكون ذلك كرامة له أو لأبويه.

الدراسات السابقة:

هذا البحثُ سبقَ أن أُشغِلت فيه مواقِعُ التواصلُ الاجتماعي، فقد اطلعتُ من خلالها على كتابين عظيمي النفعِ ، أحدهما: بعنوان: (السبع الذين تكلموا في المهد، للدكتور مصطفى مراد). والثاني: (المتكلمون في المهد، لغانم الغانم) . وخالجني أولُّ الأمر شعورٌ أن أَعُزف عن البحث، ما دامت الغاية التي كنت أصبو إليها قد تحققت في رَفْدِ المكتبة الإسلامية وتعزيزها، لكني قلت في نفسي: لِمَ لا أوازن بين ما كُتِبَ قبلي وما كتبتُهُ، فإذا ثبت لديَّ عدم جدوى إضافة شيءٍ إلى ما قدمه الباحثان الجليلان تركتُهُ، وإذا تبين أنَّ بحثي هذا قد أضاف ما هو جديد أتممتُهُ، ثمَّ بعد الموازنة بان لي أنَّ البحث له مميزات : منها: أنَّه يكشف النقاب عَمَّن تكلم في مهده ارهاصاً لنبوةِ نبيٍ ، أو كرامةً لوليٍ ، ومنها: الجمع بين أقوال المفسرين والمحدثين، ومنها: بيان موقف الشرع الإسلامي حول مسألة : كيفية التعامل مع من يتكلم في مهده من غير الذين صحت الأخبار عنهم أنهم قد تكلموا وهم صغارٌ ، كما أنَّ البحث يختلف عن غيره بطريقة

العرض والأسلوب؛ فكلُّ باحثٍ له طريقته وغاياته كما هو معلوم؛ لذلك على القارىء أن لا يتسرع في الحكم على البحث قبل قراءةِ مضمونه قراءةً متأنيةً، فلو أصدر حكماً على البحث من خلال العنوان فإنَّ ذلك يُعَدُّ ظلماً، والله لا يحب الظالمين.

خطة البحث:

- المقدمة وفيها: دوافع اختيار الموضوع ، وأهميته ، والدراسات السابقة فيه، وخطة البحث.
- تمهيد عام وفيه: تعريف المهد ، والمعجزة ، والكرامة.
- المبحث الأول: اختلاف العلماء في عدد الذين تكلموا في مهدهم. وفيه مطلبان:
  - الأول: المتكلمون في مهدهم المتفق عليهم.
  - والثاني: المتكلمون في مهدهم المختلف فيهم.

  ويحتوي كلا المطلبين على مسائل عِدَّةٌ ، سأُناقشها في مواضعها.
- المبحث الثاني: إمكان أن ينطق طفل في وقتنا المعاصر.
- وخاتمةٌ: لخصتُ فيها أهم نتائج البحث
- وقائمةٌ بأسماء المصادر.

تمهيـــد عـــــام

في تعريف المهد ، والمعجزة ، والكرامة

قبل الخوض في تفاصيلِ البحثِ أرى أَنَّهُ من الواجبِ عليَّ أن أضعَ تعريفاً لغوياً للمهد؛ لأَنَّه أصلُّ البحث، فهو وإن كان واضحاً ، وقد أُشْبِعَ بحثاً كما يُقال ، لكن هذا لا يمنع من التعريف بهذه المفردة ؛ لزيادة الإيضاح والتذكير.

أمَّا سبب إيراد تعريف المعجزة والكرامة هنا؛ فلأنَّ صلة الذين تكلموا في مهدهم بالمعجزة واضحة ؛ لأنها بابٌ للنبوةِ ، ومقدمةٌ من مقدماتها، وهي التي تُسَمَّى عند علماء السِّير والكلام (بالإرهاص). بل إنَّ قسماً من المفسرين قد عدَّ كلام عيسىعليه السلام في مهده من المعجزات[١].

قال: أبو حيان عن كلام عيسى عليه السلام في مهده: ((والظاهر أنه كان حين كلم الناس في المهد نبياً لقوله : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] ولظهور هذه المعجزة منه والتحدي بها))[٣].

أمَّا صلتُهُ بالكرامة، فلأَنَّ الناطقين في مهدهم، إنما كان نطقهم كرامةً لهم، أو لإبويهم، أو أحدهما؛ لذلك رأيت أن أُفرِّدَ هذا التمهيد للتعريف بهذه المصطلحات الثلاثة.

المصطلح الأول:

التعريف اللغوي للمهد: المهد: مصدر الفعل مَهَدَ، يقال: مَهَدَ الفراشَ أي بسطه ووطَّأه[٤]، فهو تسوية الأرض وإزالة ما يُقِضُّ جنب المضطجع عليها[٥]. فهو مصدر سمي به مهد الصبي ، أي : ما يمهد للصبي من مضجعه[٦].

وقد عُرِّف في المعجمات بتعاريف يمنها:

أ) هو الموضع يهيأ للصبي ويوطَّأ لينام فيه[٧].

---

[١] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: ٣/ ٦٩.

[٢] سورة مريم: ٣٠.

[٣] البحر المحيط، لأبي حيان:٢/ ٤٨٣.

[٤] ينظر: تاج العروس للزبيدي: ٩/ ١٩٠ (مادة مهد).

[٥] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور:٢٩/ ٣٠٤.

[٦] ينظر: فيض القدير، للمناوي: ٥/ ٣٧٥ . والتحرير والتنوير:٢٩/ ٣٠٤.

[٧] ينظر: تاج العروس للزبيدي: ٩/ ١٩٠ (مادة مهد).

ب) السرير يهيأ للصبي ويوطَّأ لينام فيه. وهما يؤديان المعنى نفسه[١]، فهو موضع الهدوء والسكون للصبي[٢]. ويُجمع المهد على مُهُود[٣].

المصطلح الثاني:

التعريف اللغوي والاصطلاحي للمعجزة:

١. تعريف المعجزة في اللغة: العْجزُ: نقيض الحزم، ويأتي بمعنى الضعف[٤]، والهاء للمبالغة[٥].

٢. تعريف المعجزة في الاصطلاح: هي ((أَمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة))[٦].

المصطلح الثالث:

التعريف اللغوي والاصطلاحي للكرامة:

تعريف الْكَرَامَة في اللُّغَة : هي مَصْدَرُ كَرُمَ، ويأتي لمعنيين: أحدهما: شَرَفٌ في الشَّيء في نفسِه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق.

والآخر: الكَرْم ، وهي القِلادة، وأمّا الكَرْم فالعِنَب أيضاً ؛ لأنَّه مجتَمِع الشُّعَب ، منظومُ الحبّ[٧].

---

[١] ينظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين: ٨٨٩/٢ (مادة مهد).

[٢] ينظر: فيض القدير: ٥/ ٣٧٥.

[٣] ينظر: المعجم الوسيط:٨٨٩/٢ (مادة مهد).

[٤] ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٣٦٩/٥ (مادة عجز).

[٥] ينظر: تاج العروس: ١٩٩/١ (مادة عجز).

[٦] الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للقرطبي: ٢٣٩/١. وينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني: ١٧٦/٢.

[٧] ينظر: معجم مقاييس اللغة، لإبن فارس:٥/ ١٧٢(مادة كرم).

تعريف الكرامة في الاصطلاح: ((هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم))[١].

المبحث الأول

أقوال العلماء في عدد الذين تكلموا في مهدهم

اختلفَ أهلُّ العلم في عدد الذين تكلموا في مهدهم اختلافاً كبيراً: فمنهم من قصر المتكلمين في مهدهم على الثلاثة الذين ورد ذكرهم في الحديث المتفق على صحته : ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ))[٢]. فالذين أثبتهم الحديث هم ثلاثة لا غير: (عيسى ابن مريم، وصاحب الجبار، وصاحب جريج) ، فهؤلاءِ متفقٌ عليهم عند جميع العلماء.

لكن هل عدد الثلاثة الوارد في الحديث يفيد الحصر بحيث لا يتجاوز غيره، هذا ما ذهب إليه ثلة من العلماء منهم الطيبي . رَحِمَهُ الله . وغيره[٣].

في حين ذهبت طائفةٌ كبيرةٌ من المفسرين والمحدثين: إلى أنَّ الحصر في عدد الثلاثة غير مراد؛ لذلك فإنَّ المتكلمين في مهدهم هم أكثر من ثلاثة.

---

[١] لوامع الأنوار البهية ، للسفاريني : ٢/ ٣٩٢.

[٢] الحديث متفق على صحته صحيح البخاري برقم:(٣٤٣٦) ٤/ ١٦٥، ومسلم برقم:(٦٦٠١) ٨/ ٤ وسيأتي بتمامه في المطلب اللاحق.

[٣] هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، وكان شديد الرد على المبتدعة والفلاسفة (ت٧٤٣هـ)، من تصانيفه: التبيان في المعاني والبيان ، والخلاصة في أصول الحديث، وشرح مشكاة المصابيح. ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر: ٢/ ١٨٥، ١٨٦ ، وشذرات الذهب، للذهبي: ٨/ ٢٣٩ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي: ١/ ٥٢٢ ، ٥٢٣.

واستندوا في ذلك إلى حديث رواه الطبري في تفسيره مرفوعاً، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ((ابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ))[١].

وَتَعَقَّبَ ذلك الطيبيُّ بقوله:((وَيُرَدُّهُ دلالَةُ الْحصْر فِي الروايةِ عن البُخاريِّ ومُسلِم))[٢].

وَرَدَّهُ الجلالُ السُّيوطيُّ ، فقال:((هذا منه . أي من المُؤلِّفِ العلامة الطيبيّ . على جاري عادتهِ من عَدَم الاطلاع على طُرُق الأحاديث ، والْحَدِيث الَّذِي أوردهُ المُصَنّف صَحِيح أخرجه أَحْمد فِي مُسْنده ، وَابْن حبَان فِي صَحِيحه وَالْحَاكِم فِي الْمُسْتَدْرك وَصَححهُ من حَدِيث ابْن عَبَّاس مَرْفُوعاً، وَرَوَاهُ الْحَاكِم أَيْضاً من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، وَقَالَ: صَحِيح عَلَى شَرط الشَّيْخَيْنِ))[٣]. وذكرَ العلامةُ الآلوسيُّ أنَّ العلامةَ الطيبيُّ لم يُرِد الطعن بالحديث المتُقدم، وإنما أراد أنَّ بينَ الحديث الدَّالِّ على الحصر وغيره تعارُضاً يحتاجُ الى التوفيق[٤].

إذن مُحَصِّل أقوال علماء الحديث، فيما أخرجه الطبري وأحمد والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنهم ما بين مُصَحِّحٍ له أو مُحَسِّن ولذلك فالحديث صالح للاحتجاج

---

[١] الحديث أخرجه الطبري في تفسيره :١٦/ ٥٥ . وقال محققه أحمد محمد شاكر: إسناده إسناد صحيح. والإمام أحمد برقم: (٢٨٢٠)٥/ ٣٠،٣١. وقال شعيب الأرنؤوط معلقاً: ((إسناده حسن، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة، وأبو عمر الضرير: اسمه حفص بن عمر البصري روى له أبو داود، وهو صدوق، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح)). والحاكم في المستدرك برقم:(٣٨٣٥) ٢/ ٥٣٨. وقال:((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ)). وقال الهيثمي:((فِيهِ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وَلَكِنَّهُ اخْتَلَطَ)). مجمع الزوائد، للهيثمي:١/ ٦٥ . وقال ابن كثير في " التفسير" : ((إسناده لا بأس به)) تفسير القرآن العظيم:٥/ ٢٦.

[٢] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب، للطيبي: ٨/ ٣٠٥.

[٣] نقل ذلك عنه العلامةُ الآلوسيُّ في روح المعاني: ١٢/ ٢٢٠ ، ٢٧٠.

[٤] ينظر: روح المعاني: ١٢/ ٢٢٠.

به، وعليه فلا يمكن حمل دلالة حديث الثلاثة الذين تكلموا على الحصر، وعليه صار لا بد من الذهاب إلى التأويل في هذه الحالة، فيقال: الحصر هو حصر إضافي، أي: الثلاثة الذين تكلموا هم من بني إسرائيل خاصة، أو أنَّ النبيَّ ﷺ أخبر بما كان في علمه مما أوحي عليه في تلك الحال ، ثم بعد هذا أعلمه الله تعالى بأشياء من ذلك ، فاخبرنا بذلك على ما في علمه[١].

والحاصل أنَّ حديث الصحيحين : ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ))[٢]. ذكر ثلاثة قد تكلموا في مهدهم: عيسى ابن مريم، وصاحب الجبار، وصاحب جريج.

وحديث ابن عباسرضي الله عنه الذي أخرجه الطبري: قد ذكر أربعة قد تكلموا: ابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْج، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. فصاروا بذلك خمسة.

وفي صحيح مسلم من حديث صهيب في قصة أصحاب الأخدود : أن امرأة جيء بها لتلقى في النار أو لتكفر ومعها صبي يرضع فتقاعست، فقال لها يا أمه: اصبري فإنك على الحق[٣]. وهذا من أقوى الأدلة على أنَّ الحصر في الحديث غير مراد، فبهذا يجتمع ستة كلهم تكلموا في المهد.

قال الحافظ ابن حجر . رَحِمَهُ الله تعالى: ((وزعم الضحاك في تفسيره أن يَحْيَى بن زَكَرِيَّا تكلم في المهد. أخرجه الثعلبي . فإن ثبت صاروا سبعة ، وذكر البغوي في تفسيره: أن إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم في المهد. وفي سير الواقدي: أن النبي ﷺ تكلم

---

[١] ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي: ٦/ ٥١١، ٥١٢، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للبكري : ١/ ١٦٩ . والبحر المديد، لابن عجيبة: ٣/ ٢٧١.

[٢] الحديث متفق على صحته صحيح البخاري برقم:(٣٤٣٦) ٤/ ١٦٥، ومسلم برقم:(٦٦٠١) ٨/ ٤.

[٣] ينظر: صحيح مسلم برقم:(٧٦٢١) ٨/ ٢٢٩.

أوائل ما ولد. وقد تكلم في زمن النبيﷺ مبارك اليمامة، وقصته في دلائل النبوة للبيهقي من حديث مُعْرِضٍ))[١].

وقد جَمَعَ السيوطي عدد من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر، ونظمها في أبيات[٢]، وسأتعرض إلى كل من ذكر أنَّه قد تكلم في مهده في مطلبين ومن الله وحده العون والسَّداد.

المطلب الأول
المتكلمون في مهدهم المتفق عليهم

المتكلمون في مهدهم المتفق عليهم بين جميع أهل العلم: هم ثلاثةٌ لا غير، وهم المنصوص عليهم في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمامُ البُخاريُّ ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلاَماً، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لاَ، إِلاَّ مِنْ طِينٍ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ

---

[١] فتح الباري، لابن حجر: ٦/ ٤٨٠.

[٢] تكلم في المَهدِ النَّبيُّ مُحَمدٌ٠٠٠ ويحيى وعيسى والخليلُ ومريمُ
وصَبِيّ جُرَيْجٍ ثم شاهِدُ يوسِفُ٠٠٠ وطِفلٌ لدى الأُخدود يَرويهِ مُسلِمُ
وطفلٌ عَلَيهِ مُرَّ بالأمَةِ الَّتي٠٠٠ يُقالُ لَها تَزنِي ولا تَتَكَلَّمُ
وماشِطَةٌ فِي عَهدِ فرعون طِفلُها٠٠٠ وفي زَمَنِ الهادي المُبَارَكُ. قلائد الفوائد وشرائد الفرائد، للسيوطي:٤٩٦.

تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ[١] فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، – قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ – ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ))[٢].

فهذا الحديث الصحيح قد نصَّ على أَنَّ من تكلموا هم ثلاثة ليس غير، إذا أُخِذَ على ظاهره، لكنّنا قد عرفنا فيما سبق أنَ الحصر في الحديث غير مراد ، أَمَّا الآن فسأتحدث عن المتفق عليهم الثلاثة المنصوص عليهم في الحديث الذين هم: عيسى ابن مريم، وصاحب الجبار، وصاحب جريج، لذلك فإنَّ الحديثَ عنهم سيكون في المسائل الآتية:

- **المسألة الأولى : عيسى ابن مريم**

وَرَدَ في محكم التنزيل في أكثر من آيةٍ كريمةٍ، فضلاً عن الحديث الصحيح الذي سبق أن ذكرناه آنفاً، أَنَّ عيسى بن مريم عليه السلام قد تكَلَّمَ في حال صغره، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٣].

---

[١] ((أَي: صَاحِبُ حُسْنٍ وَقِيلَ صَاحِبُ هَيْئَةٍ وَمَنْظَرٍ وَمَلْبَسٍ حَسَنٍ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ وَيُشَارُ إِلَيْه)) . فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٤٨٣.

[٢] الحديث متفق على صحته صحيح البخاري برقم: (٣٤٣٦) ٤/ ١٦٥، ومسلم برقم:(٦٦٠١) ٨/ ٤.

[٣] آل عمران: ٤٥، ٤٦.

وقال: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

وقد ذكر النبي ﷺ اسم عيسى عليه السلام دون أن يبين قصته كما هو الحال في قصة صاحب جريج وصاحب الجبار؛ لأنَّ قصته عليه السلام جاءت مفصلة في القرآن الكريم حتى ذكر الكلمات التي كان قد نطق بها في مهده فقال: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

رُوِيَ أنَّ عيسى عليه السلام كان يرضع في أثناء مبالغة قوم مريم . عليها السلام . في توبيخها فقطع رضاعته وأقبل عليهم بوجهه ، واتكأ على يساره، وأشار بسبَّابته، وكلمهم[3].

---

[1] المائدة: ١١٠.

[2] مريم: ٣٠ . ٣٣.

[3] ينظر: التفسير الكبير، للرازي: ٢١/ ٥٣٠.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّه لم يتكلّم في المهد من الأنبياء إلاَّ عيسى عليه السلام[١] ((وفي سبب كلامه في المهد قولان: **أحدهما:** لتنزيه أمه مما قُذِفَتْ به. **والثاني:** لظهور معجزته))[٢].

((واختلف في كلامه عليه السلام في المهد: أكان ساعة واحدة ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق ؟ أو كان يتكلم دائماً في المهد حتى بلغ إبَّانَ الكلام ؟ قولان : **الأول** : عن ابن عباس ، ونقل الثعالبي أشياء من كلامه لأمه وهو رضيع؛ . لأنه يرى أنَّ كلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة[٣]. والظاهر أنه كان حين كلم الناس في المهد نبياً لقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ولظهور هذه المعجزة منه والتحدي بها . **وقيل** : لم يكن نبياً في ذلك الوقت ، وإنما كان الكلام تأسيساً لنبوته، فيكون قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ إخباراً عما يؤول إليه بدليل قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾))[٤].

- **المسألة الثانية: صاحب جريج**

قصة جريج ثابتة في الصحيحين وخلاصتها كما رواها مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ،

---

[١] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ٦٩.
[٢] النكت والعيون، للماوردي:١/ ٣٩٤.
[٣] ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: ٣/ ٦٩.
[٤] البحر المحيط : ٢/ ٤٨٣.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ:لا ، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا[١].

وما يهمنا من هذه القصة الاستنتاجات الآتية:

١. إثبات كلام الغلام الذي برَّأ جريجاً مما نسب إليه من أنه زنى بتلك المرأة، كلامه كان لتبرئة جريجٍ من أنه لم يزن بتلك البغي التي ادعت أنه زنى بها.
٢. أنَّ جريجاً لم يكن نبياً، لكنه كان رجلاً عابداً كما قد نص الحديث، فيكون نطق ذلك الغلام (صاحب جريج) كرامة لا معجزة له.
٣. فِي الْحَدِيثِ عِظَمُ بِرِّ الوَالِدَينِ وَإِجَابَةُ دُعَائِهِمَا ولو كَانَ الْوَلَدُ مَعذُورًا لَكِن يَختَلِفُ الحَالُ فِي ذَلِكَ بِحَسَبِ المَقَاصِدِ[٢].
٤. فيه دليل على استجابة دعاء الأم على ولدها[٣].

---

[١] الحديث متفق على صحته صحيح البخاري برقم:(٣٤٣٦) ٤/ ١٦٥، ومسلم برقم:(٦٦٠١) ٨/ ٤.
[٢] فتح الباري:٦/ ٤٨٣.
[٣] المصدر نفسه :٦/ ٤٨٣.

٥. فيه أيضاً إِيثَارُ إِجَابَةِ الأُمِّ عَلَى صَلاةِ التَّطَوُّعِ؛ لأَنَّ الاستمرارَ فِيها نَافِلَةٌ وَإِجَابَةُ الأُمِّ وَبِرُّهَا وَاجِبٌ[١] يعني أنه إنْ كان في النافلةِ يقطعُ صلاتَه ويجيب، وإن كان في الفريضة يَمْضِي فِيها.

- **المسألة الثالثة: صاحب الجبار :**

صاحب الجبار هو الغلام الذي كان يرضع من ثدي أمه، وهو المذكور ثالثاً في الحديث بعد عيسى عليه السلام وصاحب جريج ((... وكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ[٢] فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، – قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ – ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ))[٣].

فقد أثبت الحديث: نطق ذلك الصبي الذي صار يدعى: (صاحب الجبار)، وهو صبيٌ رضيعٌ من بني إسرائيل، تكلمَّ في مهده، وجاءت قصته تبرئة لامرأة أَمَةٍ اتهمت بالسرقة والزنى، وهي لم تفعل ذلك وهذه كرامة لها. وقد كانت العبارة التي نطق بها أنه دعا الله أن لا يجعله مثل ذلك الجبار فقال: اللهم لا تجعلني مثله

---

[١] المصدر نفسه:٦/ ٤٨٢.

[٢] ((أَي: صَاحِبُ حُسْنٍ، وَقِيلَ: صَاحِبُ هَيْئَةٍ وَمَنْظَرٍ وَمَلْبَسٍ حَسَنٍ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ وَيُشَارُ إِلَيْه)) . فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٤٨٣.

[٣] الحديث متفق على صحته صحيح البخاري برقم:(٣٤٣٦) ٤/ ١٦٥، ومسلم برقم:(٦٦٠١) ٨/ ٤.

المطلب الثاني
المتكلمون في مهدهم المختلف فيهم

ذكرت في المطلب الأول المتكلمين في مهدهم المتفق عليهم ، وهنا سيكون بحثي عمَّا زاد على الثلاثة المذكورين في الحديث الصحيح المتفق عليه بين البخاري ومسلم المتقدم ذكره وهم: (ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب الأخدود ، وإبراهيم الخليل عليه السلام ، ويَحْيَى بن زَكَرِيَّا، ومريم عليها السلام ، والنبي ﷺ، ومبارك اليمامة).

والعلماء اختلفوا فيهم فمنهم من ترجَّح عنده أنهم تكلموا في حال صغرهم، وليس في مهدهم؛ لكنَّ السيوطي . رَحِمَهُ الله . عدَّهم جميعاً ممن تكلموا في مهدهم، ونقل ذلك عن ثلة من العلماء، منهم القرطبي، وابن حجر، وابن عجيبة، وغيرهم، ولا ريب أن المنقول عنهم من أكابر العلماء فهذا يستدعي منا الوقوف أمام أقوالهم بمنتهى الإجلال والاحترام ، وعدم المرور عليها كما يقال مرَّ الكرام ، بل لا بد من الوقوف عند هذه المسألة بعناية وجدية.

لذا سأواصل البحث عنهم للوقوف على الرأي الراجح، في المسائل الآتية:

- **المسألة الأولى: ابن ماشطة بنت فرعون**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا وَجَدْتُ رَائِحَةً طَيِّبَةً فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا فَقُلْتُ: مَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ إِذْ سَقَطَ الْمُشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي فَقَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّكِ وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ، قَالَتْ: وَإِنَّ لَكِ رَبّاً غَيْرَ أَبِي؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَتْ: نَعَمْ ، قَالَتْ: فَأُعْلِمُهُ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَعْلَمَتْهُ فَدَعَا بِهَا، فَقَالَ: يَا فُلاَنَةُ ، أَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ

اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ[١] فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَخَذَ أَوْلاَدُهَا يُلْقَوْنَ فِيهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فَتَدْفِنَّا جَمِيعاً، قَالَ: وَذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا فَلَمْ يَزَلْ أَوْلاَدُهَا يُلْقُونَ فِي الْبَقَرَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنٍ لَهَا رَضِيعٍ فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجَلِهِ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّهِ ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ[٢].

إذن قصة ماشطة ابنة فرعون قصة صحيحة ثابتة عن نبينا ﷺ ، وإن كان من أهل العلم من حكم بضعفها؛ لضعف عطاء بن السائب واختلاطه، وأنه سمع من حماد بعد اختلاطه، لكن من الممكن أن يردَّ عليهم بأن يقال: إنَّ عطاء بن السائب سمع من حماد بن سلمة قبل الاختلاط كما قال جمع من الأئمة[٣].

---

[١] أَصل الْبَقَرِ: الشَّقُّ وَالتَّوْسِعَةُ، قَالَ ابْنُ الأَثِير:((قَالَ الْحَافِظُ أَبو مُوسَى: الَّذِي يَقَعُ لِي فِي مَعْنَاهُ: أَنه لا يُرِيدُ شَيْئًا مَصُوغًا عَلَى صُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَلَكِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ قِدْراً كَبِيرَةً وَاسِعَةً فَسَمَّاهَا بَقَرَةً مأْخوذاً مِنَ التَّبَقُّرِ التَّوَسُّع، أَو كَانَ شَيْئًا يَسَعُ بَقَرَةً تَامَّةً بِتَوابلها فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ)). النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير:١/ ١٤٥ (مادة بقر).

[٢] الحديث أخرجه الطبري في تفسيره :١٦/ ٥٥ . وقال محققه أحمد محمد شاكر: إسناده إسناد صحيح. والإمام أحمد برقم: (٢٨٢٠)٥/ ٣٠،٣١. وقال شعيب الأرنؤوط معلقاً:((إسناده حسن، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة، وأبو عمر الضرير: اسمه حفص بن عمر البصري روى له أبو داود، وهو صدوق، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح)). والحاكم في المستدرك برقم:(٣٨٣٥) ٢/ ٥٣٨. وقال:((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ)). وقال الهيثمي: ((فِيهِ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وَلَكِنَّهُ اخْتَلَطَ)). مجمع الزوائد:١/ ٦٥ . وقال ابن كثير في " التفسير": ((إسناده لا بأس به)) تفسير القرآن العظيم:٥/ ٢٦.

[٣] ينظر: تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط على مسند أحمد برقم:(٢٨٢٠)٥/ ٣٠،٣١.

فعطاء بن السائب ثقة في حديثه القديم وهذا مما لم أجد فيه مخالفاً عند جميع علماء الجرح والتعديل، حتى قال علي بن المديني ، عن يحيى بن سَعِيد القطان : ((ما سمعت أحدًا من الناس يقول في عطاء بن السائب شيئاً قط في حديثه القديم))[١].

قال ابن حجر: في الفتح:((عطاء بن السائب بن مالك الثقفي الكوفي، من مشاهير الرواة الثقات إلاَّ أنه اختلط فضعفوه بسبب ذلك، وتحصل لي من مجموع كلام الأئمة أن رواية شعبة، وسفيان الثوري، وزهير بن معاوية، وزائدة، وأيوب، وحماد بن زيد، عنه قبل الاختلاط وأن جميع من روى عنه غير هؤلاء فحديثه ضعيف؛ لأنه بعد اختلاطه إلاَّ حماد بن سلمة فاختلف قولهم فيه))[٢].

وأختم هذا المطلب بالقول : أنَّ قصة ماشطة ابنة فرعون قصة صحيحة وليست مأخوذة عن أهل الكتاب؛ لأنَّ جميع رواة الحديث الوارد بصددها ثقات، الاَّ عطاء بن السائب فإنه قد اختلط، لكن ذكر بعض المتضلعين من علم الحديث أنه سمع من حماد بن سلمة قبل اختلاطه، ومن ثمَّ يكون الحديث مقبولاً .

- **المسألة الثانية: شاهد يوسف:**

وَرَدَ في القرآن الكريم، وَثبَتَ في السُّنة الصحيحة الثابتة عن النبيِّ ﷺ أَنَّ شاهد يوسف قد تكلم، لكن المفسرين اختلفوا في المراد بهذا الشاهد المذكور في قوله تعالى: **﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾**[٣] على ثلاثة أقوال:

---

[١] تهذيب الكمال، للمزي: ٢٠/ ٨٩.

[٢] فتح الباري: ١/ ٤٢٥.

[٣] يوسف: ٢٦.

الأول: أَنَّهُ كَانَ لَهَا ابْنُ عَمٍّ وَكَانَ رَجُلاً حَكِيماً عاقلاً حصيف الرأي، وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

والثاني: أنَّ ذلك الشَّاهد كان صبياً أنطقه الله تعالى في المهد، وَهَذَا قَول أبي هُرَيْرَة، وَسَعِيد بن جُبَير، وَالضَّحَّاك، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَن ابْن عَبَّاس[١]. وزاد أبو حيان ثلاثة من القائلين بهذا القول: الْحَسَنُ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَهِلالُ بْنُ يَسَاف[٢].

والثالث: أَنَّ ذلك الشاهد هو القميص، وهو قول مجاهد[٣].

وحجة أصحاب القول الأول: ((. أَنَّ ذلك الشَّاهد كان . رَجُلًا عَاقِلًا حَكِيماً شَاوَرَهُ الْمَلِكُ فَجَاءَ بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ، وَلَوْ كَانَ طِفْلًا لَكَانَتْ شَهَادَتُهُ لِيُوسُفَ ﷺ تُغْنِي عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ مِنَ الْعَادَةِ، لِأَنَّ كَلَامَ الطِّفْلِ آيَةٌ مُعْجِزَةٌ، فكادت أَوْضَحَ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ بِالْعَادَةِ))[٤]

وقد نَصَرَ هذا القول الشيخ الألباني . رَحِمَهُ الله . فقال: ((إن ظاهرَ القرآن في قصة الشاهد أنَّه كان رجلاً لا صبياً في المهد . إذ لو كانَ طفلاً لكان مجرد قوله إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً، لأنه من المعجزات، ولَمَا احتيج أن يقول: ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾، ولا أن يأتي بدليل حي على براءة يوسف عليه السلام وهو قوله: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ

---

[١] ينظر: تفسير القرآن ، للسمعاني:٣/ ٢٤.

[٢] ينظر: البحر المحيط: ٥/ ٢٩٧.

[٣] تنظر هذه الأقوال: تفسير مجاهد:١/ ٣٩٥، وجامع البيان، للطبري: ١٦/ ٥٣ . ٥٩ ، والتفسير الكبير، للرازي: ١٨/ ٤٤٦ ، والبحر المحيط: ٥/ ٢٩٧ ، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير:٤/ ٣٢٨.

[٤] هذا خلاصة ما استدل به أبو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن:٩/ ١٧٣.

﴿فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[١] وقد روى ابنُ جرير بإسناد رجاله ثقات عن ابن عباس أنَّ الشاهد كان رجلاً ذا لحية ، وهذا هو الأرجح، والله أعلم)) [٢].

وقول الشيخ الألباني هو خلاصة الوجوه التي ذكرها أبو علي الْجُبَّائِيُّ إذ قال: ((وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لِوُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ أَنْطَقَ الطِّفْلَ بِهَذَا الْكَلَامِ لَكَانَ مُجَرَّدُ قَوْلِهِ إِنَّهَا كَاذِبَةٌ كَافِياً وَبُرْهَاناً قَاطِعًا، لِأَنَّهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ الْقَاهِرَةِ....)) [٣].

وحجة أصحاب القول الثاني:

- ✓ ما رواه ابن جرير مرفوعاً عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: ((تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)) [٤].
- ✓ كلامه في المهد أَدَلُّ حُجَّةً[٥] وأقوى للشهادة؛ لأنه خارقٌ للعادة فيكون أكثر تأثيراً ، وألزم في الحجة.

---

[١] يوسف: ٢٦ – ٢٧.

[٢] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني:٢/٢٧٣.

[٣] التفسير الكبير:١٨/٤٤٦.

[٤] الحديث أخرجه الطبري في تفسيره :١٦/ ٥٥ . وقال محققه أحمد محمد شاكر: إسناده إسناد صحيح. والإمام أحمد برقم: (٢٨٢٠) ٥/ ٣٠،٣١. وقال شعيب الأرنؤوط معلقاً: ((إسناده حسن، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة، وأبو عمر الضرير: اسمه حفص بن عمر البصري روى له أبو داود، وهو صدوق، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح)). والحاكم في المستدرك برقم:(٣٨٣٥) ٢/ ٥٣٨. وقال:((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ)). وقال الهيثمي:((فِيهِ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وَلَكِنَّهُ اخْتَلَطَ)). مجمع الزوائد:١/ ٦٥ . وقال ابن كثير في "التفسير": ((إسناده لا بأس به)) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢٦.

[٥] ينظر: البحر المحيط: ٥/٢٩٧.

أما القول الثالث: فقد استبعده كلٌ من الإمامين الجليلين: أبي حيان الأندلسي والرازي، فقال الأول: ((وَيَبْعُدُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَابْنِ حَبِيبٍ أَنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْقَمِيصُ الْمَقْدُودُ، لِقَوْلِهِ ﴿ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ وَلا يُوصَفُ الْقَمِيصُ بِكَوْنِهِ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ))[١]. وبيَّنَ أنَّ الله تعالى قد أَنْطَقَهُ؛ لِيَكُونَ أَدَلَّ عَلَى الْحُجَّةِ[٢]. وقال الأخير: ((وَهَذَا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ؛ لأَنَّ الْقَمِيصَ لا يُوصَفُ بِهَذَا وَلا يُنْسَبُ إِلَى الأَهْلِ))[٣].

ولابن مجاهد قول غريب أغرب من قوله أن الشاهد: القميص ، قوله: أنَّ الشاهد كَانَ مِنْ أمر الله تعالى ولم يكن إنسّياً، وهو ما رواه عنه لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ[٤].

الذي أراه راجحاً من بين هذه الأقوال: القول الثاني؛ للخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ. وهو ترجيح شيخ المفسرين الإمام الطبري . رحمه الله تعالى . وأبو السعود العمادي، والشنقيطي في أضواء البيان، ومحمد رشيد رضا في المنار[٥]. وقد حكاه ابن كثير بدون تأييد ولا تضعيف[٦].

وأختم هذا المطلب بالقول: إنَّ القرآن الكريم ذكر أنَّ شاهد يوسف قد تكلم ، لكن العلماء اختلفوا هل تكلم في مهده، أو في صغره، أو كان رجلاً عاقلاً، ويبدو أنَّه كان صبياً أنطقه الله تعالى في مهده وهو قول ابن عباس وجماعة، واختيار شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري . رَحِمَهُ الله تعالى.

---

[١] البحر المحيط: ٥/ ٢٩٧.
[٢] ينظر: البحر المحيط: ٥/ ٢٩٧.
[٣] ينظر: التفسير الكبير: ١٨/ ٤٤٦.
[٤] ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٨٤.
[٥] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للعمادي:١/ ٤ ، وأضواء البيان، للشنقيطي: ٢/ ٢١٧ ، وتفسير القرآن الحكيم: ١٢/ ٢٨٧.
[٦] ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٨٣.

• المسألة الثالثة: صاحب الأخدود

صاحب الأخدود قصته صحيحه ذكرها الإمام مسلم في صحيحه، وتناقلتها كتب التفسير ،وهذا نصها: فعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ[1] وَالأَبْرَصَ[2]، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى

---

[1] الأكمه: الذي ولد أعمى . غريب الحديث، للحربي: ٢/ ٤٨٢.

[2] البرص: بياضٌ يَظْهَرُ في ظاهِرِ البَدَنِ لِفَسَادٍ . القاموس المحيط: ١/ ٦١٣.

فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[١]، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ[٢] بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ[٣]، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[٤]، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ

---

(١) القرقور: هُوَ السَّفِينَةُ الْعَظِيمَةُ، وجَمْعُها: قَراقِير. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٤٨.

(٢) انكفأت: انقلبت يُقَال كفأت الْقدر إذا كببتها لتفرغ مَا فِيهَا. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي: ١/ ٤٨١.

(٣) الكَبِدُ : وسطُ الشَّيءِ ومُعظمُه، كَبِدِ القوسِ، وكبد القوس: وهي مَا بَينَ طرفي مقبِضِها ومجرى السَّهمَه مِنها. تاج العروس: ٩/ ٩٠، ٩١ (مادة كبد).

(٤) الصُدغُ: ما بين العين والأذن. الصحاح: ٤/ ١٣٢٣ (مادة صدغ).

آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ[١] فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ))[٢].

وقد استنتج أهل العلم من هذا الحديث: أَنَّ فِيهِ إثباتَ كرامات الأولياء ، وفيه جوازُ الكذب في الحرب ونحوها في مصلحة ترجع إلى الدين، وفي إنقاذ النفس من الهلاك سواء نفسُهُ أو نفسُ غيره ممن له حرمة،وفيه صبر الصالحين على الابتلاء في ذات الله، وما يلزمهم من إظهار دينه والدعاء لتوحيده ، واستقتالهم أنفسهم في ذلك، وفيه إجراء خوارق العادات على أيدي دعاة الخير ، لبيان الحق والتثبيت في الأمر ، كما قال الغلام: اليوم أعلم أمر الراهب أحبَّ إلى الله أم أمر الساحر؟ وهذه كرامة له، وأَنَّ هذا الغلام شهد لأمه أنها على حق فنطق وهو صبي رضيع، وهذه كرامة أخرى له ولأمه[٣].

والذي يعنينا من هذه القصة: أَنَّ صاحب الأخدود غلامٌ صغيرٌ قد تكلمَّ حال صغره، لكن حصل اختلاف بين أهل العلم: هل أن صاحب الأخدود قد تكلم في صغره أو في مهده؟والذي يظهر أنَّ الأقرب أَنَّهُ تكلم حال مهده وليس في صغره؛ لرواية ابن قتيبة: أن الصبي الذي طرحته أمه في الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وَصُرِّحَ بالمهد في حديث أبي هريرة[٤].

---

[١] الأُخدُودُ: حُفرةٌ فِي الأَرْضِ، وَالجَمعُ أَخَادِيدُ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١/ ١٦٥ (مادة خدد).

[٢] أخرجه مسلم برقم:(٧٦٢١) ٨/ ٢٢٩.

[٣] ينظر: شرح النووي على مسلم: ١٨/ ١٣٠ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: ٧/ ٢٢٨ ، وأضواء البيان، للشنقيطي: ٨/ ٤٨٣ ،٤٨٤.

[٤] ينظر: فتح الباري: ٦/ ٤٨٠.

وخالف النووي في هذا، فقال: ((إن صاحب الأخدود لم يكن في المهد))[١]، أي أنه تكلم حال صغره، وَعَقَّبَ عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري كما أشرت إليه قبل قليل .

- **المسألة الرابعة: إبراهيم الخليل عليه السلام**

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ الله: ((ذكر البغوي في تفسيره: أَنَّ إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم في المهد))[٢] فراجعت تفسير البغوي للتثبت من سلامة هذا القول، فوجدت هذه الرواية التي نقلها عن مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ أنه قال: كَانَ آزَرُ قَدْ سَأَلَ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ عَنْ حملها ما فعل؟ فقالت: قد وَلَدْتُ غُلامًا فَمَاتَ، فَصَدَّقَهَا فَسَكَتَ عَنْهَا، وَكَانَ الْيَوْمُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ في النشوء كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالسَّنَةِ ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِبْرَاهِيمُ فِي الْمَغَارَةِ إِلاَّ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا حَتَّى قَالَ لأُمِّهِ: أَخْرِجِينِي فَأَخْرَجَتْهُ عِشَاءً فَنَظَرَ وَتَفَكَّرَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَقَالَ: إِنَّ الَّذِي خَلَقَنِي وَرَزَقَنِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي لَرَبِّي الَّذِي مَا لِي إِلَهٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى السماء فرأى كوكباً قال: هَذَا رَبِّي، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بَصَرَهُ ينظر إِلَيْهِ حَتَّى غَابَ، فَلَمَّا أَفَلَ، قال: لا أحب الآفلين))[٣].

فهذا الأثر إن صَحَّ فهو يدّلُّ على أنَّ التوحيد قد غُرِسَ غرساً في نبيه إبراهيم عليه السلام ، إذ إنه منذ طفولته شهد بالتوحيد لربه، ويدّلُّ أيضاً أنَّهُ لم يتكلَّمْ في مهده بل في حال صغره.

---

[١] شرح النووي على صحيح مسلم: ١٦/ ١٠٦.
[٢] فتح الباري: ٦/ ٤٨٠.
[٣] معالم التنزيل، للبغوي: ٣/ ١٦٠.

وذكر الاستانبولي الكلمات التي نطق بها نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: ((إنَّ إبراهيم الخليل عليه السلام لما سقط على الأرض استوى قائماً على قدميه وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد الذي هدانا لهذا))[١].

ويبدو لي أنَّ هذين الأثرين وغيرهما لا يمكن الجزم بصحتهما، ولاسيما الأثر الذي ذكره البغوي . رَحِمَهُ الله . في تفسيره ؛ لأنَّ مصدر تلك الآثار كتب الأقدمين[٢].

- **المسألة الخامسة والسادسة: يَحْيَى بن زَكَرِيَّا ومريم عليهما السلام:**

لم أجد شيئاً مُسْنداً عن كلام يَحْيَى بن زَكَرِيَّا عليه السلام في مهده سوى ما ذكره الحافظ ابن حجر . رَحِمَهُ الله . بقوله: ((وزعم الضحاك[٣] في تفسيره: أنّ يَحْيَى بن زَكَرِيَّا تكلمَّ في المهد))[٤].

وقد ذُكِرَتْ قِصة ولادة يَحْيَى بن زَكَرِيَّا عليه السلام في القرآن الكريم، وكانت من أعجب القصص، فعندما رأى زكريا عليه السلام ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رَزَقها، وفضله الذي آتاها مِنْ غيرِ تسبُّبِ أَحَدٍ مِنَ الآدميِّينَ فِي ذلكَ لَهَا، وَمُعاينتِهِ عندها الثَّمَرَةَ الرَّطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندَها في الأرض طمع بالولد، مع كبر سنه، من المرأة العاقر. فرجا أن يرزقه الله منها الولد، مع الحال التي هما بها، كما رزق مريم على تخلِّيها من الناس ما رَزَقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العاداتُ في الأرض، بل المعروف في الناس غير ذلك، كما أن ولادة العاقر غيرُ الأمر الجاريةُ به العادات في

---

[١] ينظر: روح البيان، لأبي الفداء الاستانبولي: ٤/ ٢٤١.

[٢] ينظر: معالم التنزيل، للبغوي: ٣/ ١٦٠.

[٣] هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، مات بخراسان سنة اثنتين ومائة. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ٤٥٣ ، وطبقات المفسرين ،للأدنروي: ١/ ١٠.

[٤] فتح الباري: ٦/ ٤٨٠ . وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٩١.

الناس. فرغب إلى الله . جل ثناؤه . في الولد، وسأله ذرّيةً طيبة[١]. تأمل قوله ﷻ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾[٢]. وإن لم يثبت عندنا كلام يَحْيَى بن زَكَرِيَّا عليه السلام في مهده، فإنَّ شأن ولادته من أبوين شيخين كبيرين في السِّن هي أعجب مما لو تكلم في مهده، وإنَّ أباه زكريا عليه السلام مُنِعَ عن الكلام ثلاثة أيام مع أنه صحيح سوي عندما طلب من الله أن يجعل له علامة دالة على وقوع الحمل عند زوجته هي معجزة أخرى أعظم من كلامه في مهده لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

لكن على أية حال أقول: إنَّ قصة ولادة عيسى عليه السلام هي الأخرى أعجب من قصة ولادة يَحْيَى بن زَكَرِيَّا عليه السلام ، ولذلك عبر هنا في قصة ولادة عيسى بـ(يخلق) ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[٣] وفي قصة زكريا وابنه يحيى بـ(يفعل) ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٤] كون الفعل أيسر من الخلق ((مِنْ حَيثُ إِنَّ أَمرَ

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري:٦/ ٣٥٩، ٣٦٠.

[٢] آل عمران: ٣٨ – ٤١.

[٣] آل عمران: ٤٧.

[٤] آل عمران: ٤٠.

زَكَرِيَّا دَاخِلٌ فِي الإِمْكَانِ العَادِيِّ الَّذِي يتعارفُ، وَإِنْ قَلَّ، وَفِي قِصَّةِ مريم: يَخلُقُ، لأَنَّهُ لا يَتَعَارَفُ مِثْلُهُ، وَهُوَ وُجُودُ وَلَدٍ مِنْ غيرِ وَالِدٍ، فَهُوَ إِيجَادٌ وَاختِرَاعٌ مِنْ غيرِ سَبَبٍ عَادِيٍّ، فلذلكَ جاءَ بِلَفظِ: يَخلُقُ، الدَّالُّ على هذا المعنى)) [١].

أمَّا مريم بنت عمران، فلم أجد لكلامها في مهدها شيئاً مسنداً سوى ما نظمه السِّيوطيُّ . رَحِمَهُ الله . إذ قال في أول بيت من قصيدته:

تكلم في المَهدِ النَّبيُّ مُحَمدٌ ... ويحيى وعيسى والخليلُ ومريمُ[٢].

تأمل قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝٤٦ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٤٧﴾[٣].

فالذي خلق عيسى بكن من أمٍ بلا أبٍ أيعجزه أن ينطق أمه في مهدها!؟.

- **المسألة السابعة: النبي ﷺ:**

عَقَدَ الإمام السِّيوطيُّ . رَحِمَهُ الله . في الخصائص باباً أسماه: (بَاب كَلامه ﷺ فِي المهد) قال فيه: قَالَ الْحَافِظ أبو الْفضل بن حجر فِي شرح البُخَارِيّ فِي سير الْوَاقِدِيّ: أَن النَّبِي ﷺ تكلم أوائل مَا ولد.

---

[١] البحر المحيط في التفسير، لابي حيان:٣/ ١٥٨.

[٢] قلائد الفوائد وشرائد الفرائد:٤٩٦.

[٣] آل عمران: ٤٥ – ٤٧.

وَذكر ابن سعد فِي الخصائص: أَنَّ مهده كَانَ يَتَحَرَّك بتحريك الملائِكَة، وَأَن أول كلام تكلم بِهِ أَن قَالَ: أَلله أكبر كَبِيراً وَالْحَمْد لله كثيراً[١].

وكَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ الَّتِي أَرْضَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ تُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمَّا فَطَمَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَكَلَّمُ، قَالَتْ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَلامًا عَجِيبًا: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، فَلَمَّا تَرَعْرَعَ كَانَ يَخْرُجُ فَيَنْظُرُ إِلَى الصِّبْيَانِ يَلْعَبُونَ فَيَجْتَنِبُهُمْ[٢].

وبعد الذي تقدم أقول : إنه لم يثبت في حديث صحيح أن النَّبِي ﷺ تكلم في مهده والله أعلم. لكن تبقى معجزاتهﷺ أعظم عندنا مما لو لم يثبت نطقه ﷺ في مهده.

- **المسألة الثامنة: مبارك اليمامة:**

شَهِدَ للنبي ﷺ في حجة الوداع صبي من أهل اليمامة يوم ولد بأنه رسول الله ، فكان يُدعى: مبارك اليمامة[٣] .

وأخرج البيهقي عن مُعَرِّضِ بْنِ مُعَيْقِيبٍ الْيَمَانِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: حَجَجْتُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَدَخَلْتُ دَاراً بِمَكَّةَ، فَرَأَيْتُ فِيهَا رَسُولَ اللهِﷺ وَوَجْهُهُ مِثْلُ دَارَةِ الْقَمَرِ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ عَجَباً: جَاءَهُ رَجُلٌ بِغُلامٍ يَوْمَ وُلِدَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَا غُلامُ! مَنْ أَنَا؟)) قَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ! قَالَ: ((صَدَقْتَ بَارَكَ اللهُ فِيكَ)) ، ثُمَّ إِنَّ الْغُلامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى شَبَّ، قَالَ: قَالَ أَبِي: فَكُنَّا نُسَمِيهِ: ((مُبَارَكُ الْيَمَامَةِ))[٤].

---

[١] ينظر: فتح الباري: ٦/ ٤٨٠ ، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، للعصامي: ١/ ٣١١ ، والخصائص الكبرى، للسيوطي: ١/ ٩١.

[٢] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ١/ ١٣٩ ، ١٤٠ ، وابن عساكر في تأريخه: ٣/ ٤٧٤.

[٣] ينظر: نظم الدرر، للبقاعي: ٤/ ٣٢.

[٤] دلائل النبوة: ٦/ ٥٩ ، وأسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٤٦٦.

قال الحافظ ابن كثير . رَحِمَهُ الله .: ((هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا تكلَّم النَّاس فِي مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ الْكُدَيْمِيِّ بِسَبَبِهِ وَأَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ وَاسْتَغْرَبُوا شَيْخَهُ هَذَا، وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يُنْكَرُ عَقلاً ولا شَرْعًا، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحيح فِي قصَّة جُرَيْجٍ الْعَابِدِ أَنَّه اسْتَنْطَقَ ابْنَ تِلْكَ البغي، فقال له: يا أبا يونس، ابْنُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: ابْنُ الرَّاعي، فَعَلِمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَرَاءَةَ عِرْضِ جُرَيْجٍ مِمَّا كَانَ نُسِبَ إِلَيْهِ))[١]. لكنه في غير هذا وفي موضع آخر، قال عنه: هو متهم[٢]، ومرَّة قال: ضعيف[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل . رَحِمَهُ الله .: ابن يونس الكديمي حسن المعرفة ما وجد عليه إلاَّ لصحبته للشاذكوني. قال ابن عدي: قد اتهم الكديمي بالوضع. وقال ابن حبان: لعله قد وضع أكثر من ألف حديث. وسئل عنه الدار قطني فقال: يتهم بوضع الحديث، وما أحسن فيه القول إلاَّ من لم يخبر حاله[٤]. وذكر الذهبي: أنه أحد المتروكين[٥]

قال ابن حجر . رَحِمَهُ الله .: محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي حافظ شهير معمر، تكلموا فيه كثيراً[٦].

---

[١] البداية والنهاية، لابن كثير: ٦/ ١٧٦.

[٢] المصدر نفسه: ٢/ ١٢٦.

[٣] المصدر نفسه: ٦/ ١٧٨.

[٤] ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي: ٤/ ٧٤ ، ٧٥ ، وينظر: الضعفاء والمتروكون، للدار قطني: ٣/ ١٣١ ، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي: ٧/ ٥٥٣ . ٥٥٥.

[٥] المصدر نفسه: ٤/ ٧٤.

[٦] لسان الميزان، لابن حجر: ٩/ ٤١٩.

وقال الخطيب البغدادي . رَحِمَهُ الله .: ((وكان حافظاً كثير الحديث، سافر وسمع بالحجاز واليمن، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها وحدث بها))[١] وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر أن الكديمي حج أربعين حجة[٢] ومحمد بن شاصونة: مجهول[٣].

أمَّا معرض بن معيقيب فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن السكيت أنه قال: ((له حديث في أعلام النبوة، لم أجده إلاَّ عند الكديمي عن شيخ مجهول، فلم أتشاغل بتخريجه))[٤].

فمُحَصِّل أقوال أئمة الجرح والتعديل في رجال هذا الحديث: أنَّ محمد بن شاصونة: مجهول، ومعرض بن معيقيب: له حديث في أعلام النبوة، لم يجده ابن حجر إلاَّ عند الكديمي عن شيخ مجهول كما نقل عن ابن السكيت. وذكر ابن حجر: أنَّهُ لم يتشاغل بتخريجه.

أمَّا مُحمَّد بنِ يونُس الْكُدَيْمِيّ فقد اختلفوا فيه بين متهم له بالوضع، ومن توقف ووصفه بأنه مشهور بالحفظ لكنه أيضاً توقف في جرحه، واكتفى بقوله: تكلموا فيه.

والذي يظهر من محصل أقوال أهل العلم في الحديث أنهم حكموا بضعف هذا الحديث، ومنهم من حكم بإرساله.

لَكِنِّي أرى ليس غريباً أن يتكلم صبيٌ في مهده فقد أنطق اللهﷻ أطفالاً كثيرين في مهدهم كصاحب جريج، وصاحب يوسف، وصاحب الجبار ، وصاحب الأخدود، وغيرهم.

---

[١] تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: ٤/ ٦٨٨.

[٢] ينظر المصدر نفسه: ٤/ ٦٨٨.

[٣] لسان الميزان: ٧/ ١٩٥.

[٤] الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني: ٦/ ١٤٢.

والمراد من هذا الحديث إنَّ صحَّ: ((أنَّ النبي ﷺ جاءه رجل بغلام يوم ولادته فسأل النبي ﷺ الغلام قائلاً: من أنا؟ فردَّ الغلام بطلاقة لسان: أنت رسول الله.

وقد كان هذا دليلاً قاطعاً على صدق رسالته ﷺ مع الأدلة الكثيرة الأخرى الدالة على هذا وهذا الغلام بعد أن كلم سيد الخلق ﷺ سكت ولم يتكلم إلى أن بلغ السن التي يتكلم فيها الأطفال))[١].

المبحث الثاني

إمكان أن ينطق طفل في وقتنا المعاصر

من العقائد المقرَّرَةِ في عقيدتنا نحن أهل السُّنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وأنها باقية إلى قيام الساعة، قال النووي: ((اعلم أن مذهب أهل الحق إثباتُ كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مُستَمِرَّةٌ في الأعصار، ويَدُّلُ عليها دلائل العقول وصرائح النقول))[٢].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية ـ رَحِمَهُ الله ـ: ((ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة))[٣].

وكرامات الأولياء من خوارق العادات التي يجريها الله على يد أوليائه الصالحين أن يتكلموا في مهدهم تأييداً وإكراماً لهم.

---

[١] السبعة الذين تكلموا في المهد، للدكتور مصطفى مراد :٤٩، ٥٠.

[٢] بستان العارفين، للنووي: ١/ ٥٩.

[٣] العقيدة الواسطية، لابن تيمية: ١/ ١٢٣.

وقد ثبت أنَّ الذين تكلموا في مهدهم هم أكثر من ثلاثة، فعلى ذلك تكون دلالة الحصر في حديث الثلاثة الذين تكلموا غير مرادة؛ لأنَّه قد صح في الخبر الذي رواه الطبري وأحمد والحاكم: أنهم قد جاوزا هذا العدد.

والذي يجعلني أَطمَئِنُّ أنَّ الحصر في الحديث غير مُراد، هو نطق صاحب الأخدود وقصته ثابتة في صحيح مسلم، أمَّا تأويل ظاهره فقد أجاب عنه العلماء بأجوبة سبق الكلام عليها فلا حاجة إلى التكرار.

ولم يرد في القرآن والسُّنة ما يَدُّلُّ على غَلْقِ باب الكرامات بل هي قائمةٌ إلى قيام الساعة كما هو مُقْرَّرٌ في كتب العقيدة.

فعلى ذلك ما دام الحصر قد بطل والكرامات مستمرة، فلا مانع إذن من أن يتكلم طفل في مهده من غير الذين صحت الأخبار عنهم أنهم تكلموا في مهدهم.

لكن يشترط أن لا يأتي ذلك المتكلم بشيءٍ يناقض القرآن والسنة، وأصول الإسلام العامة وقواعده المقررة، فلو نُقِلَ إلينا أنَّ طفلاً تكلم في مهده بما يخالف شرعنا فنحن نحكم بتكذيبه في الحال ولا نؤمن به ولا نصدقه.

فمُحَصِّل القول: أنه لا مانع شرعاً وعقلاً من أن يتكلم طفل في صغره؛ فيكون ذلك كرامة له أو لوالديه أو لإحدهما، مثل: قصة صاحب الأخدود إذ كان كلامه كرامة لأمه والأمثلة هاهنا كثيرة فأكتفي بما ذكرت.

أما أن يكون من باب المعجزات فهذا غير ممكن الآن؛ لأن المعجزات قد انتهت بانتهاء الرسالات السماوية وانقطاع الأنبياء والرسل وختم الشرائع.

الخاتمـــة

١. ثَبَتَ في القرآن الكريم فضلاً عن السنة المطهرة أنَّ عيسى بن مريم قد تكلم في مهده، وأنَّ كلامه كان معجزة له، وأنه لم يتكلم من الأنبياء أحد غيره.

٢. صَحَّ أنَّ صاحب جريج قد تكلم في مهده وأنَّ كلامه كان لتبرئته من أنه لم يزن بتلك البغي التي ادعت انه زنى بها.

٣. ثَبَتَ في الحديث الصحيح أنَّ صبياً رضيعاً يسمى:(صاحب الجبار) نطق في مهده، وردت قصته تبرئة لامرأة أمة اتهمت بالسرقة والزنى وهي لم تفعل ذلك، فكان نطقه لرفع الظلم عنها.

٤. ذكر في القرآن أنَّ شاهد يوسف تكلم في صغره، لكن العلماء مختلفون هل تكلم في مهده، أو في صغره، أو كان رجلاً عاقلاً، والصحيح أنه كان صبياً أنطقه الله تعالى في مهده وهو قول ابن عباس وجماعة، واختيار شيخ المفسرين أبي جعفر الطبري رحمه الله.

٥. قد توصلت في بحثي هذا إلى أنَّ قصة ماشطة ابنة فرعون قصة صحيحة وليست مأخوذة عن أهل الكتاب؛ لأنَّ جميع رواة الحديث ثقات، الاَّ عطاء بن السائب فإنه قد اختلط، لكن ذكر بعض المتضلعين من علم الحديث أنه سمع من حماد بن سلمة قبل اختلاطه، ومن ثمَّ يكون الحديث مقبولاً.

٦. صاحب الأخدود تكلم في مهده؛ لرواية ابن قتيبة: أن الصبي الذي طرحته أمه في الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وَصُرِّحَ بالمهد في حديث أبي هريرة؛ لذلك يكون قول بعض شراح الحديث من أنه لم يتكلم في مهده متعقباً بما ذكر.

٧. ذُكِرَ أنَّ إبراهيم الخليل، ويحيى بن زكريا، ومريم ابنة عمران، والنبي محمد . عليهم الصلاة والسلام . ، ومبارك اليمامة أنهم كلهم قد نقل عنهم تكلموا في مهدهم.

٨. لم أجد من خلال دراستي هذه مانعاً شرعياً أو عقلياً أن يتكلم طفل في المستقبل، ولم يَرِدْ ما يمنع من ذلك، ما دام باب الكرامات مفتوحاً إلى قيام الساعة.

ثبت المصـــادر والمـراجـــع

. القرآن الكريم

١. أسد الغابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) (دار الفكر . بيروت ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المسمى بتفسير أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥ هـ).

٤. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: د. أحمد حجازي السقا (دار التراث العربي – القاهرة).

٥. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف (الطبعة الأولى، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)،(دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م).

٧. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
٨. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (الطبعة الثانية دار الكتب العلمية . بيروت ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ).
٩. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري (الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م).
١٠. بستان العارفين، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، (دار الريان للتراث).
١١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الثانية المكتبة العصرية - لبنان / صيدا).
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين(دار الهداية).
١٣. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف (الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).
١٤. تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي (الطبعة الأولى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
١٥. التحرير والتنوير، محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، (الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ).

١٦. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدي (ت٤٨٨هـ) تحقيق الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز (الطبعة الأولى مكتبة السنة – القاهرة ١٩٩٥م ١٤١٥هـ).
١٧. تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، (الطبعة الأولى دار المنار القاهرة ١٣٦٦هـ. ١٩٤٧م).
١٨. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة (الطبعة الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع١٤٢٠هـ – ١٩٩٩).
١٩. تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (الطبعة الأولى دار الوطن، الرياض – السعودية١٤١٨هـ– ١٩٩٧م).
٢٠. التفسير الكبير المسمى: (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب (ت ٦٠٦هـ)، (الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي – بيروت١٤٢٠ هـ).
٢١. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ) تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل (الطبعة الأولى دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م).
٢٢. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) (الطبعة الأولى مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٢٦هـ).
٢٣. تهذيب الكمال مع حواشيه، يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي (ت٧٤٢ هـ) تحقيق: د. بشار عواد معروف(الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م

٢٤. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١ هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري (دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م).
٢٥. الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) (دار الكتب العلمية – بيروت).
٢٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد خان (الطبعة الثانية مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد/ الهند ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
٢٧. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ) تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث– ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
٢٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥ هـ).
٢٩. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا (الطبعة الرابعة دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م).
٣٠. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت١١٢٧هـ) ، (دار الفكر – بيروت).
٣١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، (دار إحياء التراث العربي – بيروت).
٣٢. السبعة الذين تكلموا في المهد، الدكتور مصطفى مراد(الطبعة الأولى دار الفجر للتراث القاهرة ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م).

٣٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني(ت ١٤٢٠هـ) ، (الطبعة الأولى دار المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م).

٣٤. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٣٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط

٣٦. شرح المقاصد في علم الكلام، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩١هـ) (دار المعارف النعمانية١٤٠١هـ – ١٩٨١م).

٣٧. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ) ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا(الطبعة الثالثة دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م).

٣٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

٣٩. الضعفاء والمتروكون، علي بن عمر بن أحمد الدار قطني (ت٣٨٥هـ) تحقيق: د. عبد الرحيم محمد القشقري (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

٤٠. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي تحقيق : سليمان بن صالح الخزي (الطبعة الأولى مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ١٩٩٧ م).

٤١. العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: أشرف بن عبد المقصود(الطبعة الثانية أضواء السلف – الرياض١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
٤٢. غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد (الطبعة الأولى جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٥هـ).
٤٣. الغنية في أصول الدين، عبدالرحمن بن محمد تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر (الطبعة الأولى مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت ١٩٨٧م).
٤٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ).
٤٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب وهو حاشيةُ الطيبي على الكشاف، حسين بن عبد الله الطيبي(ت ٧٤٣هـ) تحقيق مجموعة من الباحثين (الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣م جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم).
٤٦. فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم(ت ٢٥٧هـ) (مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ).
٤٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م).
٤٨. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي (الطبعة الثامنة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

٤٩. قلائد الفوائد وشرائد الفرائد، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي(ت ٩١١هـ) (مخطوط).
٥٠. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة (الطبعة الأولى الكتب العلمية – بيروت-لبنان ١٤١٨هـ١٩٩٧م).
٥١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي (الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م).
٥٢. لباب التأويل في معاني التنزيل المشهور بتفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(دار الفكر – ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م).
٥٣. لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الثانية بيروت – لبنان ١٣٩٠هـ /١٩٧١م).
٥٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، (الطبعة الثانية مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م). (ت ٨٠٧هـ) تحقيق حسام الدين القدسي مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م).
٥٥. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م).

٥٦. مسند أحمد، أحمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين (الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م).
٥٧. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق: حسين سليم أسد (الطبعة الثانية دار المأمون للتراث – جدة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).
٥٨. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ) المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري (الطبعة الأولى دار العاصمة، دار الغيث – السعودية ١٤١٩هـ).
٥٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي (دار إحياء التراث العربي – بيروت).
٦٠. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين (مجمع اللغة العربية بالقاهرة).
٦١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٦٢. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي(ت٦٥٦هـ) تحقيق: محيي الدين ديب مستو ، ويوسف علي بديوي، وأحمد محمد السيد، و محمود إبراهيم بزَّال (الطبعة الأولى دار ابن كثير دمشق ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م).
٦٣. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني (دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤هـ).
٦٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، (الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٢ هـ).

٦٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي (الطبعة الأولى دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م).
٦٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعى (الطبعة الثانية دار الكتب العلمية . بيروت ٢٠٠٢ م . ١٤٢٤ هـ). (الطبعة الأولى دار ابن كثير، دمشق – بيروت١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م).
٦٧. النكت والعيون ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان).
٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)
٦٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية . بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).